العلمانية وتطبيقها في الإسلام

الدكتور محمد البهي

ما هي العلمانية ؟ :

العلمانية هي : فصل بين مجالين في حياة الانسان : مجال الدنيا ، وزينتها ومتعها ، ومجال الصلة الخاصة بين الانسان وخالقه .

هي : فصل بين سلطتين غير متجانستين : بين دين او كنيسة .. وسلطة زمنية او دولة .

هي تفرقة بين «طاهر» وهو سر الله في الانسان .. «ونجس» وهو ما يمثل المادة وشرها في حياته . والكنيسة كسلطة مسيحية تباشر أحوال الانسان المسيحي فيما يتصل بعلاقته بربه : تباشره منذ ولادته .. الى موته .. ومنذ زواجه وانجاب الولد ، حتى يظل في رضاء الله ، بينما الدولة والسلطة الزمنية تباشر شؤونه الاجتماعية في علاقته بالآخرين معه في المجتمع .. وشؤونه الاقتصادية في الملكية ومنفعة المال .. وشؤونه في المعاملات التجارية والزراعية ، والصناعية ..

وشؤونه في التشريع والقضاء عدا قضاء الأسرة والتشريع فيها .

العلمانية فصل في كتاب الحياة الأوربية ، عنيت به الخصومة بين الكنيسة والسلطة الزمنية ، في المجتمعات الأوربية في محاولة لاستقلال كل منهما ، او في محاولة لمنع الاحتكاك بينهما ، بعد الشد والتوتر في علاقتهما ، طوال القرون الوسطى وسيادة حكم الكنيسة فيها .

ومفهوم الدين : هو ما يغطي حاجة الانسان ، كفرد في صلته بالله داخل مكان العبادة ، او في خارجها في الأسرة . **ومفهوم السياسة :** هو ما يشتمل ما عدا ذلك الجانب في حياة الانسان . والانسان بذلك له جانبان : **جانب ديني .. وآخر سياسي** . ولا يتكلم في الجانب الأول ، كما لا يفصل فيه إلا «رجل دين» . بينما لا يمارس الجانب الثاني إلا «رجل دولة» . ورجل الدين مطالب بعدم التدخل في مجال السياسة .. ورجل الدولة مطالب بأن لا يقحم نفسه في مجال الدين ، وقد يكون لكل منهما تأثير في مجال الآخر ، ولكن هذا التأثير يبقى في الخفاء ، ويظل من الوجهة الشكلية غير معترف به من الجانب الآخر .

وعلى أية حال فالعلمانية ، كما اتفق على مفهومها رجال الكنيسة والدولة معا : فصل واضح بين تدخل أية من السلطتين القائمتين ـ سلطة الكنيسة ، وسلطة الدولة ـ في مجال الاخرى ، وفي شؤونها .

● فهل في الإسلام سلطتان : دينية .. وسياسية ؟ :

يصور الاسلامُ كتابُ الله ، وهو القرآن . وكتاب الله عندما يفتح ويتلى آياته يشير إشارة واضحة إلى شؤون عديدة في حياة الانسان ، تغطي جميع جوانبها .

● في مجال الاعتقاد :

.. فيشير في مجال الاعتقاد الى وحدانية الله المعبود . وهو كامل كمالا مطلقا ، وإذن لا شريك له .. ولا ندّ له .

ووحدانية الله في الاعتقاد يجب أن تنعكس على ثنائية الإنسان بين عقله ، وغرائزه .. كما تنعكس على الأفراد في المجتمع ، في علاقة بعضهم ببعض . فشهوة الانسان لها مكان في حياته .. وعقله له مكان آخر فيها ، ولكن مكان السيادة والقيادة ، والأفراد في المجتمع متساوون في الاعتبار البشري ، وان فرق بينهم مدى كل منهم في مستوى الانسانية . وهو ما يعرف **بتقوى الله** .

واذا كان الاعتقاد في وحدانية الله يجب أن ينعكس على «ثنائية» الانسان المؤمن به ، فيضعف الصراع الداخلي على الاقل بين : **عقله** الذي هو مصدر الحكمة فيه .. **وغرائزه** التي هي مصدر الشهوة لديه ، فان معنى ذلك : أن هذا الاعتقاد يحول بالأولى دون أن يوزّع المؤمن بالله الواحد ، بين سلطتين كما تطلب العلمانية ، سلطة دينية .. وأخرى سياسية . لان معنى توزيع الفرد بين سلطتين : الإبقاء على كونه **موزعا** ، دون أن يصير الى وحدة يغلب عليها الانسجام ، بين اجزائها اذا كانت مركبة في ذاتها .

● في مجال الحكم :

.. وفي مجال الحكم يصرح القرآن في قول الله تعالى : «وان احكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع اهواءهم ، واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون» المائدة : ٤٩

فيأمر بأن يكون الحكم بين أهل الكتاب ـ والمؤمنون برسالة الرسول عليه السلام بالطريق الأولى ـ بما انزل الله في القرآن .. **وان يتجنب تماما الحكم بالهوى ، والحكم بالهوى لا يلتزم طريقا واحدا** ، وإنما يتبع الميل البشري في اتجاهه . وهو خصيصة من خصائص الجاهلية . كما يذكر في الآية التالية في قول تعالى : «أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» المائدة : ٥٠

فالحكم بين الناس لا يتجاوز أحد نوعين : **إما حكم الهوى** .. وهو حكم الانسان حسبما يهوى .. حكم الطغيان والمادية او كما يطلق القرآن عليه : حكم الجاهلية .. **وإما الحكم بالقرآن** وبما انزل الله فيه وهو الحكم بالطريق الأقوم والأحسن ، لأناس يريدون أن يسود العدل والاحسان بينهم .

والحكم بالقرآن ليس حكما إلهيا . وإنما هو حكم بما انزل الله ، على حسب اجتهاد الحاكم الانسان فيه .. هو حكم انساني يجتهد فيه الانسان الحاكم فيصيب ويخطيء . والانسان ليس بمعصوم عن الخطأ في اجتهاده . إذ العصمة لله وحده .

والحكومة الالهية حكومة الكنيسة وحدها ، لأن المسيح ، وهو ابن الله ، كما يُدّعىٰ ، يحل في الأب الأعلى لها . ومن هنا تكون تفسيراته لنصوص الإنجيل مقدسة .. كما تكون أوامره ونواهيه مقدسة أيضا ، يجب على التابعين للكنيسة أن يطيعوها ويخضعوا لها خضوعا تاما .